موقف سلطة البعث من أحداث زيارة الأربعينية

(أحداث صفر) ١٩٧٧

أ. م. د. سيف عدنان ارحيم القيسي

كلية الاداب – الجامعة العراقية

الملخص

موقف سلطة البعث من أحداث صفر ١٩٧٧ دراسة في ضوء التقرير السري للجنة السرية.

لم تكن أحداث صفر بالحدث الطارىء وإنما جاءت وفق أحداث شهدتها الساحة السياسية وتوجهات البعث نحو التفرد بالسلطة والعمل على تحجيم اي نفوذ سياسي للقوة السياسية او للتيار الديني الذي يمثل شريحة واسعة من الشعب العراقي والتي تمارس طقوسها الدينية منذ اكثر من ١٣٠٠ سنة والتي تعد من النقاط الحساسة التي بدأ البعث يعمل جاهداً على الحد منها أو تحجيمها مستخدماً من القوة والعنف المفرط في أحيان كثيرة وسيلة لتحجيم تلك الشعائر التي تعد من الخطوط الحمراء التي يقف تجاهه الزوار بموقف المواجهة والتحدي تجاه سلطة البعث التي سخرت جميع امكانيات الدولة وقواتها لقمع الزوار الذي قصدوا كربلاء للمشاركة بمصاب الامام الحسين عليه السلام مستذكرين تلك الفاجعة بطقوس خاصة يلفها الحزن والتي وصفها البعث بأنها تشكل تحدياً كبيراً لهم ولسلطتهم والذين وظفوا الاعلام الحكومي بأن وراءها مؤامرة حاكها لهم النظام السوري ذو التوجه الايديولوجي المشابه المختلفين في قيادة التيار الذي يمثله قطبا الخلاف متناسين ان من قام بتلك التظاهرة هم شريحة واسعة بدأت تتحذر من الاستئثار بالسلطة والتوجه نحو الدكتاتورية التي مثلها حزب البعث، فبعد أحداث صفر ١٩٧٧ شكل البعث لجنة سرية لدراسة اسباب الانتفاضة ووضع المعالجات للحد من المظاهر الدينية وتأثير دور الحوزة الدينية والعمل على تحجيم دور المرجعية الدينية في العراق وهو ما سأتناوله في ورقتي البحثية.

تمهيد

لقد حاول حزب البعث منذ مجيئه للسلطة في عام ١٩٦٨ العمل على انهاء المراسيم الدينية التي يتمسك بها المسلمون الشيعة منذ قرون عديدة، محاولين تغيير تلك المناسبة الى ايام فرح والتي عدها المسلمون الشيعة استفزازاً لمشاعرهم ولا يتحملها شعورهم العاطفي مع مأساة الحسين عليه السلام.

أن اول ما بدأه نظام البعث هو العمل على تحجيم دور المرجعية الدينية محاولاً إحداث شرخ في صفوفها، والعمل على إضعافها وزعزعة مكانتها الدينية في نفوس أتباعها وجعلها تنأى بنفسها عن الوقوف بوجه النظام وهذا ما حدث عندما وجهت اصابع الاتهام للسيد مهدي الحكيم ابن المرجع الديني محسن الحكيم واتهامه بالانتماء الى شبكات التجسس وادى الى خروجه القسري عن العراق في عام ١٩٦٩.

وبالرغم من وضوح الهدف من تلك الفبركة من قبل البعث ومحاولته اضعاف مكانة المرجعية الدينية والزيارة الاربعينية التي تعد في حقيقتها تجديداً لوحدة المسلمين الشيعة، تفجر ذلك الموقف في احداث صفر ١٩٧٧.

تفجر الأزمة

والواقع أنه نظراً للشكوك والرفض الذي لاقاه النظام البعثي من قبل القوى السياسية الاخرى في البداية فإن إحساسه بالهشاشة دفعه اضافة الى ذلك العمل على ترويع خصومهم أو العمل على كسب شعبية لدى المواطن، ولكن ترويع المعارضة كان هو الطاغي على ما يبدو، والتي اتسمت بجانب الخشونة في تحطيم ما عرف بمصطلحهم بـ«المؤامرات»، و«كسر حلقات التجسس»، والتي نالت منها المرجعية الدينية نصيباً وافراً[١][٢].

وفي ظل سياسة الشدة التي اتبعها نظام البعث واتخاذ العلمانية شعاراً له بدأت نقمة الشيعة بالتزايد لاسيما القيود المتشددة المفروضة على زيارة العتبات المقدسة المزارات الدينية، أدت إلى حصول أضرار اقتصادية في المناطق المقدسة كالنجف وكربلاء فقد أدى الحظر الى تقليص نفوذ العوائل التي تتولى قيادة الشعائر الحسينية، وبوجه خاص في النجف التي انطلقت منها المواجهة[٣].

حقيقة الأمر تعد زيارة الاربعين أكبر تحدٍ لحكومة البعث التي بدأت تعمل لعلمنة الدولة، والعمل على إبعاد أي دور لقوى أخرى تعمل لتقويض قوة ونفوذ سلطة البعث، فكان من ضمن الاختبارات التي بدأتها الحكومة على مستوى الجماهير، محاولة منع المواكب الحسينية لخوفهم بأن وراءها دوافع سياسية تقوض قوة الدولة، وبدأت تلك المحاولات لمنع زيارة الاربعين في عام وهي ١٩٧٧ وهي العادة المتوارثة عن الآباء والأجداد[٤].

كان المبرر لفرض الحظر على الزيارة حسب الإدعاء الحكومي ما قيل عن إلقاء القبض على عميل سوري مزعوم بأنه اعترف بوجود مؤامرة

لزرع قنبلة موقوتة في ضريح العباس عليه السلام في كربلاء وحذّرت الأجهزة الأمنية قادة المواكب والزوار من مغبة المجيء،غير أن شعوراً بالتحدي كان يلوح في أجواء حشود الزوار، وقاد ذلك التحدي مجموعة من الشبان من محافظة النجف وكان قائد المجموعة أحد شباب النجف ويدعى محمد البلاغي، وكانت المجموعة تتألف من حوالي اثني عشر شاباً ينحدرون بصورة رئيسة من محلتي البراق والعمارة، وكان معظمهم طلبة أو جنوداً في العشرينيات من أعمارهم وينتمون الى عوائل من صغار التجار، فإن المجموعة شكلت مركزاً عفوياً للقيادة[٥]، إضافة لدور رجال الدين لشحذ همم الزوار ومنهم محمد باقر الصدر، وتقديم الأموال للمواكب الحسينية[٦].

في حين يعطي حنا بطاطو تصوراً آخر لأسباب النقمة للشيعة بأنها كانت بسبب نقص تدفق مياه الفرات لأراضيهم، والقيود التي فرضت على حلقات الدراسة في الحوزة الدينية والإجراءات التي فرضتها الحكومة على زيارة الاربعينية خوفاً من اضطراب الاوضاع هناك[٧].

حالة الغليان الذي تميز به الزوار بعد تسع سنوات من مجيء البعث تعكس رفضهم لقبول السياسات التي سار عليها منذ وصوله للسلطة، وفي يوم الجمعة المصادف ١٥صفر وزعت المناشير بخط اليد تحث النجفيين والزوار على المشاركة في مواكب الأربعين الى كربلاء، وبدأ الزوار مسيرتهم من النجف في طريقها إلى كربلاء ويشوبها التحدي للتحذيرات الحكومية، لكنها لم تستطع إيقاف التدفق البشري لحوالي (٣٠) ألف شخص، غير أن الصدامات في بدايتها كانت محدودة وفي اليوم التالي وصلت الى خان النص، وهنا فتحت قوات الأمن النار على الزائرين الذين بدورهم بدأوا بالهجوم على مركز شرطة خان النص[٨]، قرب منطقة الحيدرية، وهم يهتفون «يا صدام شيل إيدك، شعب العراق ما يريدك»[٩]، وعلى أثر ذلك حاصر اللواء المدرع السادس للجيش تعززه المروحيات جموع الزائرين[١٠]، هكذا عرف اهالي الجنوب يومين أسودين لتأديتهم زيارة الاربعين.

وكانت نتيجة المواجهات التي حدثت بين الطرفين، وقتلت القوات الحكومية من جانبها عدداً غفيراً من الزوار، وتم اعتقال ألفي مواطن من بينهم السيد محمد باقر الحكيم. ويبدو من مجرى الأحداث الفعلي أن النظام استخدم تلك الحادثة ذريعة لثني أي تجمهر قد يكون في المستقبل قوة رئيسة تهدد الحكومة العراقية، وربطت الحكومة من جانبها أن سياستها التي اتبعتها تعود لمخاوفها ان يستغل النظام السوري المناوئ للبعث في العراق تلك التجمعات لصالحه، فبدأ حزب البعث في العراق يكثف حملته ضد نظرائه السوريين، حيث كان النظام مشتبكاً معهم بخلاف، إضافةً للخلاف الفكري فإن مشكلة مياه الفرات كانت من ضمن المشاكل التي طفت على السطح بعد تشييد السوريين لسد الطبقة[١١].

تقرير حكومة البعث عن أحداث خان النص

وبعد أحداث خان النص شكلت حكومة البعث لجنة برئاسة عزة الدوري وعضوية كل من سعدون شاكر ومحمد عايش وغانم عبدالجليل لدراسة كتاب

المخابرات العامة المرقم(١١١٥٣) في ١٥-٥-١٩٧٧[١٢].

ولدراسة الوضع عقب أحداث خان النص قدمت اللجنة دراسة قسمتها بين المقترحات والمعالجات وأهم ما جاء في التقرير السري الذي رفعه عزت الدوري لعرضه على مجلس قيادة الثورة وسأتناول أهم فقرات ما جاء في التقرير:

١. العمل على تغيير الواقع الاجتماعي والاقتصادي في مدينتي النجف وكربلاء وذلك برصد مبالغ سخية.
٢. زيادة ملاكات الشرطة والأمن في المحافظتين المذكورتين.
٣. ولغرض انهاء التضارب بين الاجهزة الامنية في المحافظتين نقترح تشكيل لجنة في كل من محافظة النجف- كربلاء للتنسيق بالامور الامنية ممثلة من مدير الامن ومسؤول المخابرات وممثل الحزب وبرئاسة المحافظ.
٤. تعريف مسؤول الحزب والمحافظ في كلا المحافظتين بالخطة الامنية وبالقرارات التي تنوي مديرية الامن العامة اتخاذها للاستفادة من رأي مسؤول التنظيم والمحافظ في هذه القرارات فيما يخص الموضوع.
٥. الاستمرار بتوعية الجماهير بحقيقة توجه الحزب الرامي الى تخليص الدين والمناسبات الدينية المقدمة من الممارسات والتعبيرات الخاطئة التي هي أصلاً طارئة على الدين الاسلامي وبعيدة عن جوهره وأهدافه السامية ورفع الالتباس الحاصل من الخلط بن الدين وهذه الممارسات وقطع الطريق على الاشاعات التي يروجها الحاقدون والرجعيون وان الحزب يهدف الى التصدي الى الدين الاسلامي.
٦. السماح للمواطنين بإقامة مجالس العزاء الحسينية في المحافظات مع المحافظة على محدوديتها دون تقليص واتخاذ الاجراءات المناسبة بخصوص الموافقات والتعهدات.
٧. عدم التعرض لظاهرة المشي في الوقت الحاضر والاستمرار بالتثقيف على ان عادة المشي من الامور الضارة بالقياس الى المراسيم الحسينية الصحيحة التي تتناسب وقدسية المناسبة شريطة عدم التعرض الى التجريح والطعن في مشاعر الممارسين.
٨. العمل مع الممارسين والرواديد والقراء والخطباء وتوجيه قسم منهم الى ان تكون قصائدهم وخطبهم موجهة لخدمة «الحزب والثورة» وتحذير المسيئين منهم ومساعدة المحتاجين منهم خاصة الذين يمارسون العمل بقصد العيش واعتماد ارزاقهم على المناسبات المذكورة.
٩. مرحلياً العمل على تهيئة مستلزمات الثقة مع بعض من المراجع وافراد الحوزة من خلال توضيح موقف الحزب في الممارسات المختلفة ومحاولة دفعهم الى تحديد موقف قريب من نهج الثورة على الاقل وإيضاح الصورة لرجال الدين العرب وإفهامهم بتقدير الثورة لهم وحفاظها لمكانتهم الدينية وتعرية العناصر الحاقدة التي دفعت لتأزيم الأمور حقداً مها على الثورة والدين.
١٠. العمل على ايجاد صلة مع بعض مراجع الدين

بالحدود التي تخدم الثورة لتمكينهم من الكسب على حسابها وتحقيق علاقات ايجابية مع بعض العناصر غير العربية ممن لم يكن لهم موقف معادي بعد فرز وتشخيص العناصر المرتبطة والمشبوهة وتحجيم عدد الاقامات المطلوبة لهم مع تحديد الجهة المعنية للقيام بهذا العمل.

١١. السيطرة على دخول الزوار خلال الفترات المذكورة وعدم اعطاء التأشيرات للأجانب بالدخول الى العراق حيث ان الاغلبية العظمى من هؤلاء يمكن ان يكونوا موجهين وسيكون عاملاً مشجعاً الى استغلال المناسبات لعدم معرفتهم وإطلاعهم على قوانين وأنظمة البلد كذلك منع العسكريين من التمتع في اجازاتهم وكذلك الموظفين وقد اثبتت الاحداث الماضية ان عدداً كبيراً من الجنود كانوا بين المتظاهرين.

١٢. من خلال الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ضرورة مفاتحة الحزب الشيوعي بعدم استغلال هذه المناسبات لتأليب المواطنين ضد اجراءات الحزب والحكومة في هذا الشأن.

١٣. تشريع قانون يقضي بمنع رفع اللافتات السياسية والدينية في الشوارع والرقات والمحلات العامة والخاصة الا بإذن من امانة العاصمة والبلدية او تقديم الجهة او المنمة المخالفة الى الجهات المختصة لمحاسبتها.

١٤. اعادة الاذهان الى القرارات السابقة بمنع جمع التبرعات والاعانات لأي جهة كانت الا بعد اخذ موافقة وزارة الداخلية والحصول على كتاب يؤيد ذلك.

الحوزة العلمية والمرجعية الدينية ومدارسها

وضع التقرير صفحات عديدة والذي حمل عنوان موضوع «الحوزة العلمية والمرجعية ومدارسها ومناهجها» ووضع المقترحات للتعامل مع المرجعية جاء فيه:

١. من المعروف ان المرجع الاعلى هو منحاز على اوسع قاعدة من المقلدين له في كافة الدول الاسلامية وفي عهدنا هذا فأن الاجماع منحصر في شخصية السيد ابوالقاسم الخوئي لكونه المرجع الاعلى لذلك فأن التعامل الرسمي يكاد ان يكون من خلاله فقط طيلة الفترات الماضية والحاشية تضم مجموعة من العناصر الرجعية والحاقدة وتؤثر في مواقفه وغالبيتهم من العناصر الفارسية أمثال (روح الله الخميني، والروحاني المرعشي، والسبزواري الايراني، ويحتلون مركز الصدارة في قيادة مجتمع النجف اما الآخرون من اصل عربي فهم تابعون وتأثيرهم يكاد يكون محدوداً أمثال (محمد باقر الصدر، يوسف السيد محسن الحكيم، محمد طاهر الشيخ راضي، علي كاشف الغطاء).

٢. ان غالية الطلبة هم من (الفرس والافغان) اضافة الى البنغلاديش والباكستان والجنوب العربي ولبنان.

٣. لا توجد جهة معينة تتولى معرفة عدد الطلاب وكيفية دخولهم العراق او اتجاهاتهم.

٤. لا توجد معلومات كافية عن هذه المدارس وما يدرس فيها ومدرسيها ومدة الدراسة فيها

وشهاداتهم والجهات التي تديرها.

٥. ومن المعروف ان مجموعة الخوئي والكتل الدينية الاخرى الحاقدة لا يمكن ان ترضى على أي نظام اهدافه تقدمية واشتراكية ولهذا تحاول بشتى الوسائل أ، تنشط باتجاه معاد للثورة وللحزب ولديها الامكانيات المادية والبشرية ما يمكنها من خلق بعض المشاكل مستغلة بعض الامور التي نحن بغنى عنها في الوقت الحاضر.

المقترحات بشان المرجعية الدينية وطلاب الحوزة

أ. التعامل مع الخوئي وحاشيته مرحلياً وبأسلوب دقيق وواضح متوخين بذلك الاستفادة منهم على ان يكون هذا التعامل على ضوء مواقفهم من الحزب والثورة مع التركيز على إفهامهم بمهامهم وعدم التعامل معهم بأي مسألة لا تقع في اختصاصهم وهنا يجب التعامل والاتصال بأكثر من شخصية لأجل زيادة المحاور داخل هذا الكيان مع التأكيد على مراقبة العناصر غير العربية في هذا الكيان ومحاولة التخلص منهم تدريجياً وبخطة ذكية جداً.

ب. العمل على تعريب الحوزة العلمية والمرجعية الدينية واعتبارها من المهام الاساسية اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار تسابق كافة الجاليات الاخرى في المحافظة (محافظة النجف) وكذلك الحال في دولة اسلامية اخرى لكي نحظى بأن توصل مرشحها لتصدر هذا الكيان وعن كيفية التعريب نقترح العمل على ما يلي:

٣. دعم العناصر العربية الذين هم ضمن مجموعة المراجع وغيرهم دعماً مادياً ومعنوياً من خلال تبني القضايا وحلها عن طريقهم علماً بان معلوماتنا ان الرجعية تأتي من خلال هذه المضاطر ومن خلال الانفاق المادي.

٤. دعم طلبة العلوم الدينية العربية مادياً.

٥. العمل على زيادة عدد الدارسين للعلوم الدينية من الطلبة العرب.

٦. العمل على ادخال بعض الدارسين العرب للتدريس ضمن المدارس الدينية[٣١].

فجاء رد الجبهة القومية والوطنية التقدمية بأنها تساند وتؤيد حزب البعث من خلال الاجتماع الذي عقدته «الجبهة الوطنية والقومية التقدمية» جاء فيها: «تثمن سكرتارية الجبهة الوطنية القرارات الثورية التي اتخذتها القيادة السياسية ضد الزمرة الخائنة التي ارتضت ان تكون اداة في يد الاستعمار لتنفيذ مخططاته التي لم تكن بعيدة عن رصد وتشخيص قيادة الحزب والثورة»[١٤].

الهوامش

(١) حنا بطاطو، العراق،٣ أجزاء، دار القبس، الكويت،١٩٩٣،ج٣، ص٤٠٥.

(٢) احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق(جذور راسخة وواقع متغير)،دار اكيودي للثقافة، بيروت،٢٠١٤، ص٦٢.

(٣) رشيد الخيون، الاسلام السياسي بـ العراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣،ص١١٩-١٢٠.

(٤) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق،١٩٩٩، ص٢٢٠.

(٥) فالح عبد الجبار، العمامة والأفندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت،٢٠١٠،ص٣٥٥-٣٥٦.

(٦) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد، ٢٠١١، ص٣٤٢.

(٧) حنا بطاطو، العراق،ج٣،ص٤٠٥.

(٨) حازم صاغية، بعث العراق(سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت،٢٠٠٣،ص١١٢.

(٩) حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد،د. تاريخ، ص٤٢.

(١٠) حازم صاغية، المصدر السابق، ص١١٢.

(١١) ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ ١٩٥٨، منشورات الجمل،٢٠٠٣، ص٢٦٤.

(١٢) حزب البعث العربي الاشتراكي- القطر العراقي، الى امانة سر القطر، تشكيل لجنة عليا لدراسة احداث ١٩٧٧، رقم الكتاب ١٦٧٨٣/ ٢، ٢٧-٦-١٩٧٧.

(١٣) حزب البعث العربي الاشتراكي - القطر العراقي، (سري)، دراسة كتاب المخابرات العامة حول احداث خان النص، ٢٧-٧-١٩٧٧. للمزيد ينظر الملحق رقم واحد.

(١٤) اجتماع سكرتارية الجبهة الوطنية والقومية التقدمية، نقلاً عن طريق الشعب العدد ١٠٤٤، ١٩٧٧.

المصادر والمراجع

الوثائق غير المنشورة:

-حزب البعث العربي الاشتراكي-القطر العراقي، الى امانة سر القطر، تشكيل لجنة عليا لدراسة احداث ١٩٧٧، رقم الكتاب ١٦٧٨٣/ ٢، ٢٧-٦-١٩٧٧.

حزب البعث العربي الاشتراكي- القطر العراقي، (سري)، دراسة كتاب المخابرات العامة حول احداث خان النص، ٢٧-٧-١٩٧٧.

الكتب العربية والمعربة:

-احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق (جذور راسخة وواقع متغير)،دار اكيودي للثقافة، بيروت،٢٠١٤.

-حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت،٢٠٠٧.

- فالح عبدالجبار، العمامة والأفندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت،٢٠١٠.

-حازم صاغية، بعث العراق(سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت،٢٠٠٣.

-حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد، د. تاريخ.

-حنا بطاطو، العراق،٣ أجزاء، دار القبس، الكويت،١٩٩٣،ج٣.

-رشيد الخيون، الاسلام السياسي بـ العراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣، ص١١٩-١٢٠.

صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق،١٩٩٩.

-صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد، ٢٠١١.

- فالح عبدالجبار، العمامة والافندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت،٢٠١٠.

- ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ١٩٥٨، منشورات الجمل،٢٠٠٣.

الصحف:

-(طريق الشعب)، العدد ١٠٤٤، ١٩٧٧.

«طقوس ذكرى زيارة الأربعين للإمام الحسين (عليه السلام) في زنجبار»

محقق: ياسر كنعانى

kananiyasser@gmail.com

طقوس ذكرى زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام التي تقام في كربلاء المقدسة سنوياً بإعتبارها من أشهر وأضخم طقوس المسلمين الشيعة في العراق والشرق الأوسط ثم وضع إقامة هذه الطقوس في إيران بالمرتبة الثانية، من دون شك سوف تحتل هذه الطقوس التي تقام سنوياً في زنجبار بحفاوة في المرتبة الثالثة، وبهذه الطريقة تنقل الطائفة الشيعية المقيمة هناك هذا التراث الإسلامي الخالد عبر إقامة هذه الطقوس الدينية الى الأجيال القادمة.

المصطلح الفارسي «چهلم» في هذه الطقوس يدل بأن أول من أقام هذه الطقوس كانوا من الطائفة الشيعية الإيرانية الذين أقاموا في شرق أفريقيا وبالتحديد زنجبار، وفي الحقيقة أن هؤلاء يبذلون قصارى جهودهم لنشر عقائد مذهب أهل البيت عليهم السلام في أفريقيا عبر إقامة طقوس مراسم العزاء بمناسبة ذكرى الأربعين.

وتعد طقوس وإحتفالات ذكرى الأربعين والأيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام التي تقام سنوياً بشكل منسق ومنتظم من أشهر الإحتفالات الدينية بين الطائفة الشيعية الإثنا عشرية في القارة الأفريقية. ونظراً الى الخلفية التاريخية لذكرى واقعة الطف في العاشر من محرم الحرام والأربعين في العشرين من شهر صفر في كل من تنزانيا ودار السلام (زنجبار)، تستعد الطائفة الشيعية هناك لإقامة هذه الطقوس والإحتفالات لمدة ثلاثة أيام بشكل واسع ومنقطع النظير في هذه السنة كما هو الحال في السنوات السابقة. وتدل الأبحاث الميدانية بأن الطائفة الشيعية من الإيرانيين تتمتع بمؤسسات مالية متعددة وقوية في بلاد الزنج.

اقامة الطقوس وإحتفالات دينية في مدينة زنجبار تلعب دورا هاما في ترقية التقافة الشيعية و دعوة السكان الأصليين الى إعتناق الاسلام، توجد أماكن لإقامة مراسم العزاء ومقاهي مزينة جدرانها بقصائد فارسية حول واقعة كربلاء، كما تقام طقوس العزاء مماثلة للتي تقام في مدينة بوشهر الإيرانية مما يوضح التأثير الواسع لأسلوب العزاء المقام في إيران على هذا الجزء من العالم.كانت الطائفة الشيعية من أصول هندية تقيم في زنجبار منذ عام١٩٤٠ حيث اضطر الكثير منهم إلى مغادرة البلاد في أواخر سبعينيات القرن الماضي بسبب الإنقلابات العسكرية وتغيير الحكومة والضغوط السياسي التي مارست ضد الشيعة من قبل العسكر مما أدى الى مهاجرتهم إلى البلدان المجاورة. وبالرغم من ذلك يشارك أبناء هذه الطائفة في مراسم ذكرى الأربعين سنويا ويحيون بها تراث أجدادهم ويسعون للمحافظة على هويتهم الدينية والثقافية عبر تخليد هذه المراسم سنوياً. وبهذه الطريقة تنقل الطائفة الشيعية المقيمة هناك هذا التراث الإسلامي الخالد عبر إقامة هذه الطقوس الدينية الى الأجيال القادمة.

وغالباً ما تقام هذه المراسم والطقوس الدينية في ذكرى إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام ومناسبة الأربعين في شرق أفريقيا وبالتحديد في جزيرة زنجبار سنوياً مع حضور جماهيري حاشد في المساجد والحسينيات والتكايا، وبالأخص المسجد الرئيسي للشيعة في زنجبار الذي يقع في محلة «كيبوندا». حيث يتم تغطية جدران المساجد والتكايا والمنازل بالسواد، وتقرأ زيارة العاشوراء والاربعين في هذه المراسم، كما توزع الأكلات الشعبية والنذور على المشاركين في هذه المراسم، وغالباً يكون المشاركين في هذه المراسم من أبناء الطائفة الشيعية المنتشرة في شرق أفريقيا وتانزانيا.

والشئ الملفت للإهتمام هو حضور علماء السنة على مدى يومين من إقامة مراسم الأربعين بالإضافة الى مشاركة السكان الأصليين والفقراء التي يطلق عليهم عبارة « بنياز».

وتمارس الطائفة الشيعية من الأصول الهندية نشاطات تجارية وثقافية ودينية في زنجبار وشرق أفريقيا الى جانب السكان الأصليين حيث يتمتعون بفنادق ومحلات تجارية وإمتلاكهم عشرات المساجد والتكايا في كافة أنحاء جزيرة زنجبار، ويقيمون مراسم صلاة الجمعة وسائر الطقوس الدينية بأمان وحرية.

والجدير بالذكر بأنه تم تدمر المسجد القديم

والأثـري للشيعة ومقـبرة بعض عـلماء الشيعة الايرانيين بعد أحـداث الإنقلاب في عام ١٩٤٦م على يد الحكومة الإنقلابية التي سيطرت على مقاليد الحكم بالقوة في زنجبار، حيث فرضت الحكومة العسكرية بعض القيود ومارست ضغوط كثيرة على أبناء الطائفة الشيعية والخوجة للكف عن إقامة مراسيم الأربعين، الأمر الذي إضطر أبناء الطائفة ومعظمهم من الأصول الهندية والايرانية الى مغادرة هذه الجزيرة والإقامة في مدينة دار السلام المجاورة وكانت تقدر عدد سكان الشيعة في زنجبار حوالي خمسين آلاف حسب إفادة كبار المشايخ والشخصيات الشيعية المقيمة هناك.

أهم المساجد والتكايا الشيعية في زنجبار:

١. مسجد حجة الاسلام القديم

يعد مسجد حجة الاسلام القديم من أهم المراكز الدينية لعقد إجتماعات الايرانيين والخوجه في زنجبار و يقع مقابل الحمام الأثري في الجزء القديم من جزيرة زنجبار و تقام مراسم صلاة الجمعة اسبوعيا في هذا المسجد بحضور أبناء الطائفة الشيعية من الأصول الهندية بالإضافة الى السكان الاصليين، كما يتوفر في المسجد بعض القدور وأدوات الطبخ التي كانت تستخدم لطهي الطعام خاصة لدى إقامة المراسم والطقوس الدينية ومواكب العزاء وتوزيعها على المشاركين.

ولازالـت صـور بعض العلماء وإمـام المسجد والضريح المصنوع لتمثيل مقام الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ومقام الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف موجودة في هذا المسجد.

كـما تـم تـزئين جـدران المسجد بـآية التطهير والأحـاديـث الشريفة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مدح الشيعة وتزكيتهم على سائر المذاهب كحديث الثقلين والمنزلة و... بالإضافة الى لوحات لزيارة عاشوراء ودعـاء الإستغاثة وزيـارة أربعين ودعاء كميل ملعقة على جدران هذا المسجد الأثري.

ايضا مسجد الفاطمه الزهرا مشهور به كيزيمكازى فى زنجبار من اقدم المساجد فى الافريقيه.

٢. مسجد ثقة الإسلام

تعد من المساجد الحالية للشيعة في زنجبار وتقام فيها الصلاة اليومية بإمامة مولانا الشيخ زيدى وكذلك تقام في المسجد مراسم دعاء كميل ودعاء التوسل وسائر المراسم الدينية الاخرى.

المكان لزيارة الإمام الرضاعليه السلام. كما توجد داخل هذه التكية بعض الأضرحة الرمزية للسيدة رقية والسيدة سكينة إبنتي الإمام الحسينعليه السلام، وعادة ما توزع الأكلات والنذور على الزوار والسكان الأصليين خلال إقامة الإحتفالات الدينية.

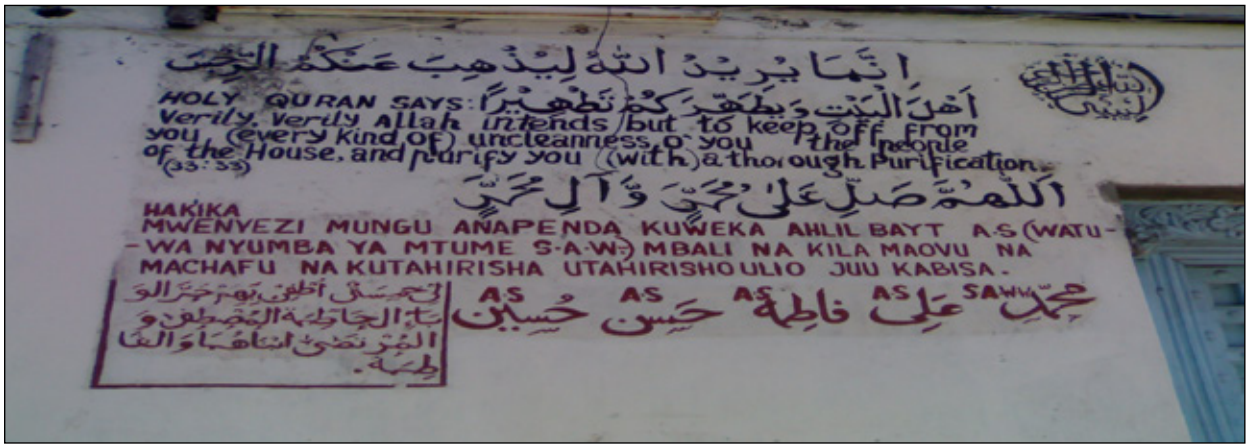

٣. حسينية امامباره

تقام في هذا المسجد مراسم خاصة للالقاء الخطب ومراسم التأبين للطائفة الشيعية في زنجبار مع الأخر بنظر الإعتبار الدور الذي يلعبه مسجد ثقة الاسلام المجاور لهذا المسجد. وتنقسم فناء المسجد الى قسمين خاصة للنساء والرجال.

٤. تكية شاه خراسان

تقع هذه التكية على مسافة ٥٠ كم من المسجد المركزي، وقد تم بناءها خصيصاً لتخليد مقام الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام في خراسان، وهي عبارة عن دار للعبادة وزيارة أئمة الشيعة المطهرين، وبسبب بعد المسافة بين زنجبار ومقام الإمام الرضاعليه السلام في مشهد بخراسان يلتجأ أبناء الطائفة الشيعية الى هذا

٥. تكية ابا الفضل العباس

تقع هذه التكية في الطابق الأعلى لمسجد الطائفة الشيعية من أتباع الشيعة الإسماعيلية والآقاخانية، وتعد من أهم المراكز الدينية لإقامة المرسام والطقوس الدينية الخاصة للجالية الشيعية الأيرانية في زنجبار حيث لازالت هناك لوحة مكتوبة عليها باللغة الفارسية بمعنى «التضحية والشفاء والعطشى».

٦. تكية بي بي فاطمة

تختص هذه التكية للنساء فقط وتقام مجالس العزاء وبعض الطقوس الدينية الخاصة للنساء الشيعة في هذا المكان. كما تقام في هذا المكان مجالس وحلقات خاصة لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف الى السكان الأصليين من قبل النساء الإيرانيات والهنود

المسلمات وتعليم السكان بأحكام الشريعة الإسلامية وتذكير فضائل أهل البيت عليهم السلام وواقعة كربلاء.

٧. حسينية البحارنة: «الماتم»

تختص هذه الحسينية أو التكية لأبناء الطائفة الشيعية من أصول بحرينية وعمانية، حيث تقام مجالس العزاء للسيد الشهداء حسب الطقوس المتبعة في البحرين وسلطنة عمان، و يعود تأسيس هذا المكان الى عام ١٣٤٥هـ حيث تم بناءها على يد السيد/ صالح بن علي البحراني بإعتباره شيع العراقي الاصل/ ممثل لهذه الطائفة، وهو من صاحب أعمال ومن رجال السياسة والإقتصاد والثقافة ومن مواليد العراق وقد بذل جهود حثيثة لنشر ودعم وتحكيم مذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام في شرق أفريقيا.

مراسم الأربعين في زنجبار

تقام مراسم الأربعين في زنجبار لمدة ثلاثة أيام يشارك فيها الشيعة والسنة على حد سواء بشكل حاشد وكان هذا الحدث هاماً جداً في فترة من الزمن عندما كانت الشيعة يمتلكون مساجد و حسينيات وتكايا في شرق أفريقيا وكانت تبلغ عددهم خمسة آلاف شخصاً ولكن أصبحت هذه الأماكن فارغة بسبب هجرة الشيعة ورحيلهم الى المدن المجاورة. وكانت الشيعة تقيم مراسم تأبين وعزاء ذكرى واقعة الطف والأربعين في المساجد والتكايا التابعة لهم لمدة ثلاثة أيام عن طريق رفع رايات السود وإكساء جئران المنازل والمساجد بالسواد وإقامة الطقوس الخاصة وتوزيع النذور والأكلات الشعبية على

المشاركين في المراسم، وبعد إنتهاء المراسم يتم جمع الرايات والسواد وتعطيرها ومحافظتها حتى مراسم الأربعين في السنة القادمة.

من دور العبادة وتقديم الطعام والنذور الى المساكين والمشاركين في هذه المراسم.

عندما سيطرت الحكومة الإنقلابية على مقاليد الحكم في زنجبار عام ١٩٦٤ قامت بطرد الشيعة والإيرانيين وحجز أموالهم ومصادرة مساجدهم بذريعة إستبدالها الى مدارس لتعليم السكان الأصليين ولتفادي مصادرة المزيد من التكايا والحسينيات من قبل الحكومة حرض أبناء الطائفة الشيعية في زنجبار الى ضرورة إحياء مراسم الأربعين لكى لا تضيع هذه الأماكن ويحول دون مصادرتها من قبل السلطة العلمانية المحتملة. ومن هذا المنطلق أصبح أبناء الطائفة الشيعية أكثر تحمساً وتكاثفاً لإقامة مراسم العزاء وسائر الطقوس الدينية في ذكرى إستشهاد الأمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام في واقعة الطف في كربلاء. وخير مثال على ذلك مراسم العزاء والتأبين التي تقام سنوياً في مساجد وتكايا الشيعة في زنجبيار على سبيل المثال مسجد حجة الإسلام وثقة الإسلام وتكايا ابا الفضل العباس وشاه خراسان وبي بي فاطمه وحسينية البحارنة وامامباره وغيرها

وبالرغم من أن مراسم الأربعين في زنجبار تعد من أقدم المراسم الدينية وأهم الرموز الثقافية في القارة الافريقية وبسبب عدم إلتزام الحكومة العلمانية القائمة في زنجبار بالمحافظة على هذا الرمز والتراث الإسلامي الشيعي الخالد، لذلك لم يتم تسجيل هذه المراسم والإحتفالات في قائمة منظمة يونسكو بإعتبارها تراثاً ثقافياً ودينياً لأهالي هذا البلد.

الحفاظ على الموارد تكليف شرعي

ـ دراسة استدلالية من القرآن الكريم ـ

م. د. حسين صالح ظاهر

مديرية تربية كربلاء

قال الرسولﷺ في وصف القرآن: ((كتابُ الله فيه نبأ من قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأفئدة، ولا تُضل به الأهواء، ولا تتشعب به الآراء، ولا يُخلق على كثرة التردد، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)). وذلك، لأنّ القرآن هو منظم حياة الناس وفيه منفعتهم في أمور الدين والدنيا لذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بتدبر آياته.

وتُعدّ فكرة الحفاظ على الموارد الطبيعية عند معظم الباحثين فكرة محدثة ظهرت في نهاية القرن العشرين واصطلح عليها بـ (الاستدامة) أي الحفاظ على الموارد الطبيعية عن طريق الاعتدال في الانتاج والاستهلاك، وهذه الفكرة تبنتها الدول الصناعية الكبرى. لكن الحقيقة أنّ القرآن الكريم قد كلّف الناس بهذه المسألة عن طريق الآيات المباشرة وغير المباشرة، وهذا التكليف ترتب عليه ثواب وعقاب، فالقرآن الكريم هو دستور ينظم حياة المخلوقات بكل أنواعها واتجاهاتها، ولأنّ الإنسان هو المكرم من هذه المخلوقات فقد خصه الله بكثير من الأمور التنظيمية من أمر مباشر، أو نهي مباشر، أو الالفات إلى القضية التي يُكلف بها الإنسان، وقد استعمل القرآن الكريم كل هذه الأساليب لينبه الناس إلى مسألة الحفاظ على ما تحت أيديهم أو ما يحيط بهم من نعم الله (الموارد الطبيعية) التي سخرها الله لفائدة الإنسان، فمن الأساليب التي استعملها القرآن الكريم اسلوب الالتفات الذي يكون الخطاب فيه غير مباشر، لكن المعني الحقيقي في الخطاب هو الانسان فقد خاطبنا الله سبحانه وتعالى في مسألة الحفاظ على نعمته ودوامها عبر الاعتدال وعدم الهدر، وذلك بتقدير ما نحتاجه والتقدير هنا بمعنى الموازنة بين الحاجة الفعلية وبين ما نمتلكه من الموارد فلا يكون تبذير أو اسراف ونجد مسالة التقدير والتحديد في كثير من الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ سورة الرعد/ ١٧، فالله مالك الملك يذكر أنّ عطاءه بقدر معين ليعلمنا نحن عبيده والفقراء إليه أنّ عدم الاسراف

والتبذير دون مبرر هو قانون شرعي للحفاظ على ما تحت أيدينا يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ سورة الحجر/ ٢١، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ سورة القمر/ ٤٩ ومعنى (القدر) هنا هو التحديد أو الكمية المحدودة على قدر حاجة الناس التي يعلمها الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر حقيقة هو ليلفت نظر العباد ليتفكروا وينظروا كيف يحافظون على مواردهم الطبيعية التي سخرها الله لهم، وأنْ يتصرفوا بها بصورة معتدلة.

واستعمل القرآن الكريم الخطاب المباشر الموجه للناس بالحفاظ على ما تحت أيديهم من النعم (الموارد الطبيعية) التي سُخرت لهم، عبر الاعتدال وعدم الهدر سواء أكان في الانتاج أم الاستهلاك لتكون الفائدة عامة لكل الناس، وذلك حينما أمرهم بالإنفاق وهو الاستهلاك وعدم الاسراف وهو الحفاظ على التوازن ويظهر ذلك في كثير من الآيات من مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ سورة الأنعام/ ١٤١، ومعنى الاسراف هو العطاء أو انفاق النعم في غير محلها وهو أمر يدخل في باب النهي الشرعي الذي يترتب عليه عقاب، ويؤكد القرآن لنا هذه المسألة في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ سورة الأعراف/ ٣١، ويردف القرآن هذا النهي ليؤكده أكثر في نفس المتلقي فأورده بلفظ التبذير ليكون المقصد واضح لا لبس فيه عند الناس فيقول تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ سورة الإسراء/ ٢٦ وبعد النهي وبين القرآن مكانة المبذر في الشرع وعقابه حينما قرنه بالشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ سورة الإسراء/ ٢٧ ويبين لنا القرآن الكريم المناطق البيضاء والمناطق السوداء إذ ليس هناك منطقة رمادية ممكن أن يلجأ إليها المكلف، فالمنطقة البيضاء هي الطاعة لله، والمنطقة السوداء، هي عصيان الله، ولعل صور الإنفاق التي وردت في القرآن تظهر من دخل في رضا الله فيكون الجزاء الجنة من مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة آل عمران/ ١٣٤، ويحدد القرآن الكريم نوع الإنفاق الذي يرضي الله إذ جعله من صفات المؤمنين الذين مدحهم الله من مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ سورة الفرقان/ ٦٧ فبين الاقتار والاسراف لا يكون إلاّ الاعتدال، ويؤكد القرآن هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ سورة الإسراء/ ٢٩، ومن خرج عن أمر الله بالعصيان والاسراف فيكون عقابه جهنم من مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾

سورة النساء/ ٣٨ وتأكيد القرآن الكريم على صور الإنفاق، لكونه من أهم السبل التي تظهر الطاعة عبر عدم التبذير أو العصيان عبر الاسراف، فالذي ينفق في لمرضاة الله يكون ثوابه عند الله كما بينت الآية، والذي ينفق لغير مرضاة الله له عقابه وقد خصّ الله سبحانه وتعالى المسرفين بالعقاب وهي صفة أكد القرآن ذمّها وعدم محبة الاسراف أي اسراف من مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ سورة طه/ ١٢٧.

وبعد لعل هذه الإشارات القرآنية في الاعتدال وعدم الاسراف أو التبذير تؤكد لنا اهتمام القرآن الكريم بمسألة الحفاظ على الموارد الطبيعية التي هي من نعم الله على الناس والتي سماها المحدثون بـ (الاستدامة) وبيَّن القرآن بصورة لا لبس فيها أنّ المسألة تدخل في التكليف الشرعي للإنسان فهو حينما لا يسرف ويعتدل في التصرف بموارده يطيع الله، ومن لا يفعل يكون عاصيا لله، لذلك يجب علينا مراعاة هذه المسألة في المناسبات الدينية خاصة من مثل زيارتي العاشر من محرم والأربعين، لأنّ اقامتها لوجه الله بإخلاص وعدم التبذير في كل ما يتعلق بها يجعل صورتها زاهية متألقة كونها أقيمت خالصة للتقرب إلى الله وطلباً لمرضاته، ولا بأس من اقامة محاضرات أو دروس تبين للناس أهمية الانفاق الصحيح وعدم الاسراف سواء في ذلك القائمين على التنظيم لهذه المناسبات أو المستفيدين من الخدمات أي الزائرين ويكون توجيه جانب هؤلاء عبر النشرات التوجيهية التي تصدرها الجهات ذات العلاقة والله من وراء القصد ومنه التوفيق والسداد.

Alssebt

Refereed semi-annual scientific journal
Concerned with civilizational, cultural and scientific research heritage of the holy city of Karbala
A special issue of the proceedings of the third international scientific conference, to visit the forty

Issued by:

Karbala Centre for studies and Researches
The General Secretariat of AL-Hussein Holy shrine

Seventh volume - Issue NO. second - Seventh year,
April 2021 - RAMADAN month 1442 A.H.